@ 753 @ بوكيل * وكذلك أوحينآ إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير * ولو شآء ا لجعلهم أمة واحدة ول كن يدخل من يشآء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير * أم اتخذوا من دونه أوليآء فا هو الولي وهو يحي ي الموتى وهو على كل شيء قدير) ^ يخبر تعالى ، أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم ، كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء والمرسلين . ففيه بيان فضله ، بإنزال الكتب ، وإرسال الرسل ، سابقا ولاحقا ، وأن محمدا صلى ا عليه وسلم ليس ببدع من الرسل . وأن طريقته طريقة من قبله ، وأحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين . وما جاء به يشابه ما جاءوا به ، لأن الجميع حق وصدق ، وهو تنزيل من اتصف بالألوهية ، والعزة العظيمة ، والحكمة البالغة . وأن جميع العالم العلوي والسفلي ملكه وتحت تدبيره القدري والشرعي . وأنه ^ (العلي) ^ بذاته ، وقدره ، وقهره . ^ (العظيم) ^ الذي من عظمته ^ (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) ^ على عظمها وكونها جمادا . ^ (والملائكة) ^ الكرام المقربون ، خاضعون لعظمته ، مستكينون لعزته ، مذعنون بربوبيته . ^ (يسبحون بحمد ربهم) ^ ويعظمونه وينزهونه عن كل نقص ، ويصفونه بكل كمال . ^ (ويستغفرون لمن في الأرض) ^ عما يصدر منهم ، مما لا يليق بعظمة ربهم وكبريائه . مع أنه تعالى ^ (هو الغفور الرحيم) ^ الذي لولا مغفرته ورحمته ، لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة . وفي وصفه تعالى بهذه الأوصاف ، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل عموما ، وإلى محمد صلوات ا وسلامه عليهم أجمعين خصوصا ، إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم ، فيه الأدلة والبراهين ، والآيات الدالة على كمال الباري تعالى ، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب ، من معرفته ، ومحبته ، وتعظيمه ، وإجلاله ، وإكرامه ، وصرف جميع أنواع العبودية ، الظاهرة ، والباطنة ، له تعالى . وأن من أكبر الظلم ، وأفحش القول ، اتخاذ أنداد من دونه ، ليس بيدهم نفع ولا ضر . بل هم مخلوقون مفتقرون إلى ا في جميع أحوالهم ، ولهذا عقبه بقوله : ^ (والذين اتخذوا من دونه أولياء) ^ يتولونهم بالعبادة والطاعة ، كما يعبدون ا ويطيعونه ، فإنما اتخذوا الباطل ، وليسوا بأولياء على الحقيقة . ^ (ا حفيظ عليهم) ^ يحفظ عليهم أعمالهم ، فيجازيهم بخيرها وشرها . و ^ (وما أنت عليهم بوكيل) ^ فتسأل عن أعمالهم ، وإنما أنت مبلغ أديت وظيفتك . ثم ذكر منته على رسوله ، وعلى الناس ، حيث أنزل ا ^ (قرآنا عربيا) ^ بين الألفاظ والمعاني ^ (لتنذر أم القرى) ^ وهي مكة المكرمة ^ (ومن حولها) ^ من قرى العرب ثم يسري هذا الإنذار ،

إلى سائر الخلق . ^ (وتنذر) ^ الناسر ^ (يوم الجمع) ^ الذي يجمع ا به الأولين والآخرين ، وتخبرهم أنه ^ (لا ريب فيه) ^ وأن الخلق ينقسمون فيه فريقين ^ (فريق في الجنة) ^ وهم الذين آمنوا با ، وصدقوا المرسلين ، ^ (وفريق في السعير) ^ وهم أصناف الكفرة المكذبين . ^ (و) ^ مع هذا ^ (لو شاء ا لجعلهم) ^ أي : جعل الناس كلهم ^ (أمة واحدة) ^ على الهدى ، لأنه القادر ، الذي لا يمتنع عليه شيء ، ولكن أراد أن يدخل في رحمته من شاء ، من خواص خلقه . وأما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح ، فإنهم محرومون من الرحمة ، ف ^ (ما لهم) ! 2 2 ! (من ولي) ^ يتولاهم ، فيحصل لهم المحبوب ^ (ولا نصير) ^ يدفع عنهم المكروه . والذين ^ (اتخذوا من دونه أولياء) ^ يتولونهم بعبادتهم إياهم ، فقد غلطوا أقبح غلط . فا ، هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته ، والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات ، ويتولى عباده عموما بتدبيره ، ونفوذ القدر فيهم . ويتولى عباده المؤمنين خصوصا ، بإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وتربيتهم بلطفه ، وإعانتهم في جميع أمورهم . ^ (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) ^ أي : هو المتصرف بالإحياء والإماتة ، ونفوذ المشيئة والقدرة ، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده ، لا شريك له . ^ (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى ا ذلكم ا ربي عليه توكلت وإليه أنيب * فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشآء ويقدر إنه بكل شيء عليم) ^ يقول تعالى : ^ (وما اختلفتم فيه من شيء) ^ من أصول دينكم وفروعه ، مما لا تتفقوا عليه ^ (فحكمه إلى ا) ^ يرد إلى كتابه ، وإلى سنة رسوله ، فما حكما به ، فهو الحق ، وما خالف ذلك ، فباطل . ^ (ذلكم ا ربي) ^ أي : فكما أنه تعالى ، الرب الخالق الرازق المدبر ، فهو تعالى الحاكم بين عباده ، بشرعه في جميع أمورهم . ومفهوم الآية الكريمة ، أن اتفاق الأمة حجة قاطعة ، لأن ا تعالى ، لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه . فما اتفقنا عليه ، يكفي اتفاق الأمة عليه ، لأنها معصومة عن الخطأ . ولا بد أن يكون اتفاقها ، موافقا لما في كتاب ا وسنة رسوله . وقوله : ^ (عليه توكلت) ^ أي : اعتمدت بقلبي عليه ، في جلب المنافع ، ودفع المضار ، واثقا به تعالى في الإسعاف بذلك ، ^ (وإليه أنيب) ^ أي : أتوجه بقلبي وبدني إليه ، وإلى طاعته وعبادته . وهذان الأصلان ، كثيرا ما يذكرهما ا في كتابه ، لأنهما يحصل بمجموعهما ، كمال العبد ، ويفوته